

Humanities and Educational
Sciences Journal

ISSN: 2617-5908 (print)



مجلة العلوم التربوية
والدراسات الإنسانية

ISSN: 2709-0302 (online)

الفيلولوجيا الاستشرافية والتراث الإسلامي، الأسس والتاريخ والآليات "دراسة تحليلية نقدية" (*)

<https://doi.org/10.55074/hesj.vi56.1935>

خالد بن محمد القرني

أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة وأستاذ كرسي الفلسفة بالجامعة
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة/ كلية الشريعة وأصول الدين
كرسي الفلسفة/ مركز الدراسات الإنسانية
والفلسفية جامعة الملك خالد، أبها - السعودية

allgarny1@gmail.com

تاريخ قبوله للنشر 4/5/2026

<http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index>

(*) تاريخ تسليم البحث 2/3/2026

(*) موقع المجلة:

الفيلولوجيا الاستشرافية والتراث الإسلامي، الأسس والتاريخ والآليات "دراسة تحليلية نقدية"

خالد بن محمد القرني

أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة، وأستاذ كرسي الفلسفة بالجامعة
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بكلية الشريعة وأصول الدين
كرسي الفلسفة/ مركز الدراسات الإنسانية والفلسفية/ جامعة الملك خالد، أبها - السعودية

الملخص

يهدف هذا البحث إلى تقديم إجابة تفصيلية حول السؤال المركزي المتمثل في: ما حقيقة التطبيق الاستشرافي للمنهج الفيلولوجي في دراسة الإسلام وما يتعلق به من علوم؟، من خلال البحث في ماهيته، وتحليل تطبيقات المستشرقين لهذا المنهج في الدراسات الإسلامية، بدايةً من نصوص الوحيين، وانتهاءً بالعلوم الإسلامية المتعددة. وكان أبرز النتائج التي خلص إليها البحث هي: أنَّ حقيقة الفيلولوجيا التي يقصدها الاستشراق تتمثل في كونها عملية تأريخ للنص من خلال التنقيب في تراكيبه الداخلية؛ للكشف عن أصوله وامتداده التاريخي، وأنَّ التطبيق الفيلولوجي الاستشرافي جاء مُحَمَّلاً بأهداف الاستشراق لكن باسم العلمية والمنهج البحثي، حيث قدَّمت الفيلولوجيا الاستشرافية نتائجاً يُنافي أخلاق المنهجية العلمية؛ من خلال قفزها إلى النتائج دون الاستدلال السليم، ومصادرتها على المسلّمات المنطقية والمنهجية؛ لغرض نزع أصالة الوحي والعلوم في الحضارة الإسلامية.

الكلمات المفتاحية: مناهج المستشرقين، الفيلولوجيا، التاريخانية، الدراسات الدينية.

Orientalist Philology and Islamic Heritage Concept, Foundations and Mechanisms a Critical Analytical Study

Khalid bin Mohammed Al-Qarni

Professor of Creed and Contemporary Schools of Thought, and Professor

Chair of Philosophy at the University

Department of Creed and Contemporary Schools of Thought – Faculty of

Sharia and Fundamentals of Religion

Chair of Philosophy

Center for Humanities and Philosophical Studies

King Khalid University, Abha, Saudi Arabia

Abstract

This research aims to provide an answer to the central question: What's the reality of the Orientalist Application of the Philological Approach in study of Islam and related sciences? By researching its nature, history and foundations, and analyzing the Orientalists Applications to this Approach in Islamic Studies, starting from the texts of the revelations and ending with the multiple Islamic Sciences. The most prominent findings were: The truth of the Philology intended by Orientalism is a process of the text history by digging into its internal structures to reveal its origins and historical extension. the philosophical Application was loaded with the Orientalism's Goals, but in the name of the Scientific and the Research Approach, by jumping to results without study and sound reasoning, and confiscating them on logical and methodological axioms for purpose of removing the authenticity of revelation and science in Islamic Civilization

Keywords: Orientalist Curricula, Philology, Historicism, Religious Studies.

مقدمة البحث:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلِّهِ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

لا شك أنَّ الوعي السليم بالاتجاهات الفكرية يتطلب الإلمام بعددٍ من الجوانب التي صنعَتْها بالصورة التي تبدو ظاهرةً للعيان. وهذه الجوانب المتنوعة جزءٌ منها يتعلق بالسياق التاريخي، وجزءٌ يتعلق بالجانب الاجتماعي، وجزءٌ يتعلق بالجانب الجغرافي، وجزءٌ أخيرٌ يتعلق بالجانب الفكري والعلمي. ودراسة الاستشراق بوصفه أحد الحركات الفكرية المتخصصة في صياغة التصور عن الإسلام؛ يتطلَّب دراسةً عميقةً من جميع الجوانب المختلفة؛ فإنَّ البحث فيه وفهم طبيعته دراساته تلك وحقيقتها يتطلَّب الوعي بجزئه المنهجي الذي يتصلُّ بواسطته إلى نتائج تُحدِّد التصور عن الدين الإسلامي والمجتمعات الإسلامية؛ ومن هنا كانت أهمية البحث في الفيلولوجيا، بوصفها أحد مناهج الاستشراق الكبرى والأولى.

مشكلة البحث:

تتمثَّل مشكلة هذا البحث في محاولة الإجابة عن هذا السؤال الرئيس: كيف استخدم المستشرقون المنهج الفيلولوجي في الدراسات الإسلامية؟

وقد تفرَّع عن هذا السؤال أسئلة جزئية لمحاولة الإجابة عنه، تمثلت فيما يلي:

- ١- ما المنهج الفيلولوجي؟
- ٢- ما أسس المنهج الفيلولوجي؟
- ٣- ما آلية الدراسات الفيلولوجية الاستشرافية للقرآن والسنة؟
- ٤- ما آلية الدراسات الفيلولوجية الاستشرافية للغة العربية؟
- ٥- ما آلية الدراسات الفيلولوجية الاستشرافية للحضارة والتاريخ الإسلامي؟
- ٦- ما الموقف من تطبيقات الفيلولوجيا الاستشرافية في حقول الدراسات الإسلامية؟

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى:

- ١- بيان حقيقة المنهج الفيلولوجي.
- ٢- التعرف على أسس المنهج الفيلولوجي.
- ٣- التعرف على بداية اهتمام الفكر الاستشرافي بالفيلولوجيا.
- ٤- الكشف عن آلية الدراسات الفيلولوجية الاستشرافية للوحي.
- ٥- بيان آلية دراسة الفيلولوجية الاستشرافية للغة العربية.
- ٦- إيضاح آليات الدراسات الفيلولوجية الاستشرافية للحضارة والتاريخ الإسلامي.

٧- بيان الموقف من تطبيقات المستشرقين للفيلولوجيا في الدراسات العربية والإسلامية.

أهمية البحث:

- ١- الاطلاع على الآليات والمناهج التي قرّرها المستشرقون في الدراسات العربية والإسلامية.
- ٢- الاستزادة من المعارف في هذا الاتجاه، وتحقيق فهمٍ دقيقٍ وموسعٍ عن أحد أهم مناهج الاستشراق والمتمثل في الفيلولوجيا.

الدراسات السابقة:

لا شك أنه قد كُتب كثيراً عن مناهج المستشرقين في الدراسات الإسلامية، وكذا المنهج الفيلولوجي على جهة الاستقلال، أما بخصوص فكرة هذا البحث فلعل أهمها بحثٌ بعنوان: آليات المنهج الفيلولوجي في دراسات المستشرقين للحضارة الإسلامية، للباحث: عبد الوهاب العروسي؛ وقد عرّف فيه بالمنهج وأبرز آلياته، ومثّل لذلك من خلال عددٍ من دراسات المستشرقين. والإضافة التي يُقدّمها بحثنا على هذه الدراسة هي محاولة استنطاق تلك المنهجية، وتحليلها من خلال الرجوع لنصوص المستشرقين العاملين بها، وتقديم نقدٍ يتطرق لا إلى الفيلولوجيا إنما إلى التطبيق الاستشرافي للفيلولوجيا في دراسة الإسلام والتراث الإسلامي.

منهج البحث:

اعتمدنا في هذا البحث على استخدام **المنهج التحليلي الوصفي**؛ لبيان مفهوم الفيلولوجيا وأسسها التي تستند عليها، وتحليل تطبيقات المستشرقين لهذا المنهج، بالرجوع إلى كتبهم ومقالاتهم. كما اعتمدنا **المنهج النقدي** للكشف عن أوجه الخلل في تطبيقات المستشرقين للفيلولوجيا، وبيان النتائج اللازمة لاستعمالهم هذا المنهج البحثي في دراسة الإسلام من جوانب متعددة.

التبويب:

مقدمة: وفيها عرضٌ لمشكلة البحث، وأهميته، وأهدافه، ومنهجه، والدراسات السابقة، وتبويه.

المبحث الأول: حقيقة الفيلولوجيا.

المبحث الثاني: الأسس السوسولوجية والمعرفية للفيلولوجيا الاستشرافية وآلياتها.

المبحث الثالث: تطبيقات المستشرقين للمنهج الفيلولوجي في دراسة الإسلام، والموقف منها:

المطلب الأول: آليات المنهج الفيلولوجي في دراسة نصوص الوحيين (القرآن والسنة النبوية).

المطلب الثاني: آليات المنهج الفيلولوجي في دراسة اللغة العربية.

المطلب الثالث: آليات المنهج الفيلولوجي في دراسة الحضارة والتاريخ الإسلامي.

المطلب الرابع: الموقف من تطبيق المستشرقين للفيلولوجيا التاريخية في دراسة العلوم العربية الإسلامية.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

المصادر والمراجع.

المبحث الأول: حقيقة الفيلولوجيا

يعود اشتقاق لفظة الفيلولوجيا لغويًا: إلى اللفظ اللاتيني المركب: Philology فتعني: Philos المُحب، & logos الكلمة أو اللغة، أي: محبة الكلام أو اللغة، فهو اللفظ الدالُّ على حُب الكلام للتعلم في دراسته من حيث قواعده وأصوله وتاريخه^(١).

وفي الاصطلاح: ارتبط هذا المصطلح بالسياق التاريخي الحضاري في الغرب؛ ففي أوروبا الحديثة ولاسيما مع الحركة الإنسانية^(٢) اهتم عددٌ من المفكرين بضرورة الرجوع للُّغات القديمة وتعلُّمها وإحياء الآداب المتعلقة بتلك اللغات، لا سيما اللغتين اليونانية والرومانية خاصةً، وهو بحثٌ تطوَّر حتى نشأ عند الغرب ما يُسمى بعلم اللغة المقارن، فـ"لقد بدأ التقدم الحقيقي في علم اللغة المقارن في القرن التاسع عشر بعد أن اكتشف الأوروبيون اللغة السنسكريتية وهي لغةٌ تراث الهند القديم...، فلاحظَ اللغويون الأوروبيون الشَّبه الواضح للسنسكريتية باللغات الأوربية القديمة"^(٣)؛ فأعيد لهذا بعثُ الفيلولوجيا على أنها البحثُ التاريخي المقارن للغات، فصارت تُعنى بتحقيق النصوص ودراستها ومعرفة سياقها التاريخي اللغوي؛ ولهذا عرَّف بعضهم الفيلولوجيا بأنها: "مصطلحٌ لغويٌ يُطلق على الدراسة التاريخية للغة، بما في ذلك الدراسات المقارنة للغات، ودراسة النصوص الأدبية، والتاريخ الثقافي لمجتمع ما"^(٤)، ثم توسَّعت دلالةُ المصطلح بحيث أصبحت تُميل إلى التحقيق والفحص للوثائق والمخطوطات والنقوش القديمة الخاصة باللغات محل الدراسة، وأصبح المصطلح -إلى جانب دلالاته السابقة- يُطلق ويُعنى به: "دراسة النقوش والكتابات القديمة، وفك رموزها، وشرحها، ومقارنتها، ودراسة المخطوطات القديمة، وتحقيقها"^(٥).

لكنَّ الفيلولوجيا بعد ذلك اتخذت اتجاهًا تحليليًا أكثر، ومقارنًا تَميل إلى إعطاء صورةٍ تاريخيةٍ لأصل النص ومصادره، بحيث أصبح من تخصص الفيلولوجيا أن تُجيب عن سؤال: ما أقدم وثيقة للنص؟ ومن مؤلِّف النص الأصلي؟ وماهي مصادر مفرداته؟ كل ذلك في ضوء مقارنتها بغيرها من الوثائق والنصوص والمفردات.

وإذا نظرنا إلى مفهوم الفيلولوجيا عند المستشرقين نجد أنهم يميلون إلى هذا الاتجاه بتوسعٍ أكثر في التأريخ؛ بحيث تظهر الفيلولوجيا عند اللغوي كعلمٍ تطبيقيٍّ يتناول أصولَ اللغة وفروعها، أمَّا المستشرقون فالفيلولوجيا عندهم تعني ذلك البحث التاريخي الذي يُبين أصلَ اللغة وتطورها والعوامل التي أدت إلى تطورها، فهو بحثٌ يتجه إلى

(١) الصالح، (٢٠١٤م)، (ص ٢٠).

(٢) أطلق اسم "الإنسانية" بدايةً على الشريحة المثقفة في عصر النهضة الأوربية؛ لولعها الشديد بالثقافات القديمة اليونانية والرومانية إحياءً ودراسةً للعودة بالثقافة الأوربية إلى أصولها ما قبل المسيحية؛ استنادًا إلى أنَّ الإنسان هو المقياس. وقد عُبِّرت هذه الفكرة عن فكرها الإنساني من خلال الأدب والفن، وأسلوب الكتابة المعتمد على لغةٍ أكثر إنسانيةً هي اليونانية، في مقابل آداب ولغة العصور الوسطى. ومن أشهر رواد هذه الحركة: ارازموس، ورايلي، انظر: برينتون، (١٩٨٤م)، (ص ٣٤)، سترومرج، (١٩٩٤م)، (ص ٣٠، ٣١).

(٣) حجازي، (ص ١٢٦ بتصرف يسير)، وانظر: شاهين، (١٩٩٣م)، (ص ١٤-١٦).

(٤) العصيلي، (٢٠٢٣م)، (٢/١١٣٤).

(٥) العصيلي، (٢/١١٣٤).

صناعة تأريخ للنصوص والوثائق والمخطوطات، وبحث علاقتها بمؤلفيها، ومصادرها، ومراحل تطورها، ومسالكها في التاريخ؛ ولهذا أشار بعض الباحثين إلى أنه لا علاقة بين الفيلولوجيا التاريخية وبين فقه اللغة عند العرب، وأن هذا الادعاء الزائف بالترادف إنما أثر بسبب استخدام المستشرقين والحدائين لمصطلح فقه اللغة للدلالة على الدراسات التاريخية للنصوص بدلاً عن الفيلولوجيا^(١).

المبحث الثاني: الأسس السوسولوجية والمعرفية للفيلولوجيا الاستشرافية وآلياتها

يمكن أن نفهم الأسس التي تُشكل الخلفية الرئيسة للممارسة الفيلولوجية عند المستشرقين من خلال النظر إلى البيئة التي وُلد فيها هذا المنهج، وبالسؤال أولاً عن أصول الفيلولوجيا التاريخية؟ نجد أنه يُرجعها بعضهم إلى الجهود التي بُذلت في مجال الترجمة وتحقيق المخطوطات وجمعها في أواخر الحقبة اليونانية في الإسكندرية والحقبة الرومانية، وتلى ذلك جهود العالم العربي والإسلامي في مجال فقه اللغة والدراسة المعمّقة للمفردات والألفاظ العربية^(٢)؛ لكن تطورت الفيلولوجيا في القرن الـ(١٩م) بتداخلها مع الفلسفة، فوجدت كقاعدة أساسية للممارسة التأويلية خاصة مع الفيلسوف الألماني فردريك نيتشه (ت: ١٩٠٠م)؛ "حيث يتجلى المنحى التأويلي في حديث نيتشه عن الفيلولوجيا منذ بداياته من خلال اهتمامه بالبحث عن المعنى والأصالة داخل النصوص القديمة (الإلياذة والأوديسة مثلاً)، للتمييز الدقيق بين المفاهيم المتداخلة في دراسة الفقه الكلاسيكي، ولذلك كان شديد الحرص على التأكيد من أن الهرمينوطيقا لصيقة بالبحث الفيلولوجي"^(٣)، ومن هنا ولجأت الفيلولوجيا إلى بوابة قراءة النصوص وإعطاء معانٍ لها متجاوزة حدود الظاهر اللغوي إلى التأويل.

وبالنظر أيضاً إلى موضوع الفيلولوجيا - وهو اللغة - تُحدد أبرز أسس هذا المنهج؛ فمن المعلوم أن التفكير في اللغة منذ زمن الحداثة الغربية وحتى اليوم قد مرّ بتطورات عدة: بدايةً من اعتبار اللغة أداة للعلوم والمعارف؛ فلا بد من الاطلاع على التراث المعرفي للأمم الأخرى - الإسلامية بشكل خاص - من خلال التعرف على لغاتها وتعلمها ونقل علومها، وصولاً إلى أفراد اللغة بالسؤال الفلسفي؛ بحيث أصبحت اللغة فلسفةً مستقلة، وظهرت لذلك مذاهب تحليلية في قراءة النصوص والبحث عن المعنى ونحو ذلك. واستحضار النظر إلى تطور البحث اللغوي في الفكر الحديث مُفيد لنا هنا في فهم الأسس الفلسفية النازمة للفيلولوجيا الاستشرافية حين تُدرس النصوص المختلفة، حيث تركز على عدة أسس، تتمثل في:

أولاً: المادية؛ فالفيلولوجيا بالنظر إلى تاريخها الفكري تُعد وليدة مرحلة استقلال الفكر الغربي بالعلم عن هيمنة الكنيسة، الذي فرّ من الدين لتأسيس قواعد للمعرفة والبحث بعيداً عن الميتافيزيقا. وما حققته الفيلولوجيا آنذاك يتمثل في كونها أداة جذرية مهمة في نقل العلوم والمعارف وفهم النصوص لا تعتمد الاستدلال الديني، فهي تعتمد

(١) انظر: الصالح، (ص ١٩-٢٣)، حسان، (٢٠٠٠م)، (ص ٢٢٧ وما بعد).

(٢) انظر: حسان، (ص ٢٤٠).

(٣) ضيف الله، (٢٠١٥م)، (موقع مؤسسة مؤمنون بلا حدود. <https://www.mominoun.com>)

النص أو الوثيقة المادية الموجودة لتحليلها ودراستها بعيداً عن البحث في مصدر متعالٍ لهذا النص، وبالتالي فنتائجها وعملها متأثرٌ بهذا البعد الحسي المادي بالضرورة، وهنا يبرز البُعد الفلسفي المادي للممارسة الفيلولوجية عند المستشرقين، وهو ما سيبدو ظاهراً معنا في تأريخهم للقرآن الكريم والمصادرة على التنزيل والوحي الإلهي.

ثانياً: التاريخية؛ حيث "يعتني علم الفيلولوجيا بدراسة ما يحدث على اللغة من تغيراتٍ ولواحق تراكمية في تاريخ نشأتها وارتقائها، إذ يعتمد هذا العلم على دراسة النصوص، ليس فقط من خلال بنيتها اللغوية الداخلية، بل يتعدى ليشمل سياق انبثاقها، فاللغة من منظور العلم الفيلولوجي تكون خاضعةً لسياق إنتاجها"^(١)، بحيث تُصبح الفيلولوجيا حفراً في البناء الداخلي للنص؛ لإعطاء تصورٍ كاملٍ وشاملٍ حول تاريخه، ومن هنا "فإنَّ التاريخية... اعتبرت معرفةً فقه اللغات السامية وغير السامية الأساس الموضوعي للمعرفة التاريخية لأمةٍ من الأمم"^(٢)، لتسهيل عملية الاسترداد برَد كلِّ الحضارات إلى مصدرٍ وحيدٍ يضم كلَّ هذا التنوع والاختلاف ويصادر عليه. والاستناد الفلسفي إلى التاريخية هو مبدأ عمل الفيلولوجيا الاستثنائية الإرجاعي؛ للوصول إلى الشكل الأولي للنص، وتقرير فرضيتها في النص الأصلي الأم لمختلف النصوص.

ثالثاً: العلمانية/ العلمنة: وبالتحديد علمنة لغة الكتب المقدسة، حيث "كان الانتباه متوجهاً إلى الضربات التي وجهها علم اللغات إلى إلهية اللغة"^(٣)؛ بنزع أصالة لغة ذلك الكتاب، وكونه وحياً إلهياً من جهة، ومن جهةٍ أخرى نفى دلالاته على الوقائع والأحداث، أي: نفى الجانب الإشاري والعلاماتي لألفاظ الكتاب المقدس، فعلم اللغات المقارن أو الفيلولوجيا التاريخية هي محاولةٌ جادة لإعادة "تصنيف اللغات إلى عائلات، ثم الرفض النهائي للاعتقاد بالأصول الإلهية للغة...، وقد راجت هذه النظرة حين اكتُشف تجريبياً أنَّ ما سُمي اللغات المقدسة (والعبرية بشكل رئيس) لم تكن تنتمي إلى زمنٍ بدئي ضارب في القدم، كما أنها لم تكن ذات مصدر إلهي"^(٤).

أمَّا الآليات الإجرائية التي يستخدمها هذا المنهج في العمل عند دراسة النصوص، وتحديد تاريخها بالرجوع إلى لغاتها، فتتمثل في: آلية المقارنة والمقاربة، وآلية التأثير أو الإرجاعية، فحينما يدرُس الباحث الفيلولوجي النص أو الوثيقة فهو يغوص في تراكيبها، ويعمل على تفكيكها، والاكتفاء باللغة وما تدل عليه، حتى يكشف التاريخ الحقيقي للنصوص التي يدرسها، ويُجيب عن أسئلته المهمة، والتي تتمثل في: البحث عن تاريخ نشأة هذا النص، ومصدره، وصحة نسبته إلى مؤلفه. وحتى يتمكن الباحث من الإجابة عليها لابد وأن يُعيد النصَّ إلى سياقٍ تاريخي خارجي يفهم منه طبيعة اللغة وماهية المفردات المعبرة عن ذات المفاهيم في العصر الذي تعود إليه الوثيقة، فهو يُقابل ويُقارن النص بالنصوص الموجودة في عصره والسابقة عليه، ثم يُظهر أوجه التشابه بين نصوص الوثيقة وغيرها

(١) فتحي، ٢٠٢٣، ج ٣، ٣٤٤، (ص ٥٠).

(٢) السيد، (٢٠١٦م)، (ص ١٧).

(٣) السابق، (ص ١٤٦).

(٤) سعيد، (٢٠٠٣م)، (ص ١٥٥).

من النصوص؛ ويُقرر أنَّ هذا التشابه علامةٌ على التأثير بهذا النص أو ذاك، لاسيما إن كان سابقاً له، وهذا ما يُسمى بالتاريخ الفيلولوجي للوثائق والنصوص.

المبحث الثالث: تطبيقات المستشرقين للمنهج الفيلولوجي في دراسة الإسلام، والموقف منها:

يُعرف بارت^(١) وهو أحد المستشرقين الألمان - الاستشراق بقوله: "الاستشراق علمٌ يختص بفقه اللغة خاصة"^(٢)؛ بحيث ارتبط تطور الاستشراق - من انتمائه للكنيسة الغربية بعد سقوطها وعلمنة مناهج البحث والمعرفة ذاتها- بالفيلولوجيا التاريخية، ويُعد رينان^(٣) من أهم الصانعين للفيلولوجيا التاريخية في الاستشراق كما يقول إدوارد سعيد: "جاء رينان إلى الاستشراق من فقه اللغة، وكان الثراء الخارق والمكانة الثقافية العالية للذات تمتع بهما فقه اللغة ما أضفى على الاستشراق أهم خصائصه التقنية"^(٤)؛ ولهذا كان لابد أن يكون المستشرق فيلولوجياً قبل أي شيء، وأكثر ما ارتبط به الاستشراق هي "التاريخانية الألمانية التي سيطرت تقاليدها الفكرية والمنهجية على البحث العلمي، في ميدان تاريخ الفكر والتاريخ الديني...، وقد كان على منهج البحث الفيلولوجي أن يُعطي الحاجة إلى المعرفة بكيفية تكون نصوص تلك التراثات والأشكال المختلفة لتطورها عن أصولها التي صدرت عنها"^(٥)، ومن هنا كان طريق البحث الاستشرافي المنظم في دراسة الإسلام، وهو ما سيظهر معنا بصورة أوضح فيما يلي:

المطلب الأول: آليات الاستشراق الفيلولوجية في دراسة نصوص الوحيين (الكتاب والسنة النبوية)

تغطي الدراسات المتعلقة بالوحيين بمكانة هامة في الاستشراق، وهي دراسات طويلة ومتطورة حتى يومنا هذا، وقد عمل المستشرقون على فيلولوجيا القرآن خاصةً بعد نجاح نتائج الدراسات النقدية الفيلولوجية التاريخية للكتاب المقدس؛ الأمر الذي سهّل هذه القفزة - إن جاز التعبير - بالاستشراق إلى ميدان التطبيق على القرآن الكريم والسنة النبوية، واتخاذها موضوعاً للدراسة الفيلولوجية. وعلى العموم يُعد كلُّ بحثٍ لنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية في بدايته بحثاً فيلولوجياً مادام يتجه للنص ويستنتقه، ويُطبّق مفهومه لحقيقة النص عليه، وبالفعل فالتوجه العام في الرؤية الفيلولوجية الحديثة لحقيقة النص تتمثل في دراسته كوثيقة وُجدت في زمانية معينة، وتُحيط بها بيئة جغرافية واجتماعية معينة أحدثت أثراً فيها؛ بحيث صارت الفيلولوجيا بحثاً تاريخياً من خلال النصوص، وهو الأمر

(١) رودى بارت (١٩٠١-١٩٨٣) مستشرق ألماني، كان من أبرز أعماله تقديم ترجمة للقرآن باللغة الألمانية والتعليق عليه، إلى جانب تأليفه عدد من الرسائل عن القرآن منها: "محمد والقرآن". بدوي، (٢٠٠٣م)، (ص ٦٢، ٦٣).

(٢) بارت، (٢٠١١م)، (ص ١٧).

(٣) أرنت رينان (١٨٢٣-١٨٩٢)، مستشرق ومفكر فرنسي، تمثلت أبرز جهوده في العناية باللغات السامية خاصةً العبرية وألف في ذلك كتابه الشهير "تاريخ اللغات السامية"، بدوي، (ص ٣١١-٣٢٠).

(٤) سعيد، (ص ١٥٢).

(٥) بلقريز، (٢٠١٧م)، (ص ١٧٦).

الذي بدأ في تطبيقه المستشرق الألماني فلهاوزن^(١) صاحب "نظرية الفرضية الوثائقية"^(٢) للكتب المقدسة، والتي بدأها بالتوراة التي أكد فيها أنَّ "التوراة تتألف من وثائق أقدم من تأليف التوراة"^(٣) وألّف كتابه الشهير المعنون بـ "تأليف الأسفار الستة، والأسفار التاريخية في الكتاب المقدس"^(٤)، ومنها عمِل على نقد الأناجيل، وانتهى من تلك الدراسة إلى "افتراض نصٍ أساسي هو إنجيل مرقس، وعنه تفرعتُ نصوصُ الأناجيل الثلاثة الأخرى"^(٥)، الأمر الذي دَعَمَه بمسوغاتٍ لتدشين البحث الفيلولوجي التاريخي للقرآن الكريم، "حيث إنه اعتمد التقسيم المرحلي نفسه الذي مرّت به نصوص الكتاب المقدس، من خلال تحديد ثلاث مراحل زمنية كبرى تشكّلت من خلالها المعالم التاريخية الكبرى لنشوء وارتقاء النص المقدس"^(٦)، بالاعتماد على اللغة وأساليبها؛ فهي محاولةٌ للتأريخ للقرآن الكريم من خلال اللغة.

وهو المشروع الذي طرحه نيلدكه^(٧) في تاريخ القرآن؛ حيث فرّق فيه بين المرحلة المكية والمدنية في القرآن بالاعتماد على الأسلوب ذاته، وحاول إعادة ترتيب القرآن بناءً على ذلك، وهي ذات الرؤية التي افتتح من خلالها مشروعهُ الاستثنائي في تاريخانية القرآن، والذي حاول فيه بحث "مسألة نشوء نص القرآن وجمعه ورواياته"^(٨)، ففي سياق معالجته مسألة أصل القرآن اعتمد الفيلولوجيا، وانتهى إلى القول بأنّ: "المصدر الرئيس للوحي الذي نُزل على النبي حرفياً -بحسب إسلام المسلمين البسيط وبحسب اعتقاد القرون الوسطى وبعض المعاصرين- هو بدون شك ما تحمله الكتابات اليهودية"^(٩)؛ و"لهذا، لا لزوم للتحليل لنكتشف أنّ أكثر قصص الأنبياء في القرآن، لا بل الكثير من التعاليم والفروض، هي ذات أصلٍ يهودي، أمّا تأثير الإنجيل على القرآن فهو دون ذلك بكثير"^(١٠)، "وسيفضي بنا البحث المتمعن عمّا هو يهوديٌّ ومسيحيٌّ في القرآن إلى الاقتناع بأنّ التعاليم الأساسية التي يشترك

(١) يوليوس فلهاوزن، (١٩١٨-١٩٤٤)، مستشرق ومؤرخ ألماني، اهتم بالتاريخ للكتب المقدسة باستخدام الفيلولوجيا التاريخية، وأشهر مؤلفاته في ذلك هو "تأليف الأسفار الستة والأسفار التاريخية في الكتاب المقدس" كما اهتم بالتاريخ للإسلام والعرب، ومن ذلك "كتابه: أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام"، بدوي، (ص ٤٠٨-٤١٠).

(٢) فتحي، ج ٣٤، (ص ٥٢).

(٣) بدوي، (ص ٤٠٨).

(٤) السابق، (ص ٤٠٨).

(٥) السابق، (ص ٤٠٩).

(٦) بدوي، (ص ٤٠٩).

(٧) تيودور نيلدكه، (١٨٣٦-١٩٣١)، شيخ المستشرقين الألمان، امتاز بإتقان اللغات السامية الكبرى العربية والسريانية والعبرية، له اهتمامات باللغة العربية والشعر والنحو العربي، بالإضافة إلى عمله في تاريخ القرآن باستخدام الفيلولوجيا التاريخية. بدوي، (ص ٥٩٨-٥٩٥).

(٨) مقدمة ترجمة كتاب تاريخ القرآن لنيلدكه، لجورج تامر، (ص xi).

(٩) لنيلدكه، (٢٠٠٠م)، (٧/١).

(١٠) السابق، (٧/١).

فيها الإسلام والمسيحية هي ذات صبغة يهودية^(١)؛ يُستنتج ذلك من السياق التاريخي الذي يُشير إلى وجود اليهود في أماكن مختلفة من جزيرة العرب، ويقيمون بخاصة في المدينة ويترددون إلى مكة، كما أنَّ "مسيحية الفرق الشرقية نفسها كانت ذات طابع يهودي بارز"^(٢) كما يقول. وأخذ يُقارب بين التوراة والقرآن الكريم، وضرب أمثلة من القصص القرآني بردها إلى أصلها - كما يعتقد - في التوراة. أمَّا المصدر الاجتماعي لنشأة القرآن فيقول: "أحد أهم مصادر تعاليم محمد كانت الاعتقادات الدينية التي اعتنقها قومه، وما من مُصلحٍ يمكنه أن يتصل تمامًا من المعتقدات التي تربى عليها، هكذا بقي لدى مؤسس الإسلام بعض من الأساطير القديمة"^(٣). وإلى جانب هذا فإنَّ التاريخانية القرآنية كما يقدمها نولده تُصوِّر القرآن بما فيه على أنه نتاج خاضع للتطور؛ بدايةً باعتبار الإسلام صورةً متطورة ومنقحة من اليهودية، وانتهاءً بتحديد أساليبه للكشف عن هذه التاريخية التطورية. والحقيقة أنه يدور في دائرة مفرغة، إذ يجعل المقدمة هي ذات النتيجة ويُعمم فيقول: "يختلف أسلوب القرآن تبعًا لأوقات التأليف المختلفة"^(٤)؛ "فبينما تشي بعض المقاطع الأولى باضطرابٍ شديد أو بجلالٍ هادئ، نجد في أقسامٍ أخرى لغةً عادية فضفاضة أقرب ما تكون إلى النثر"^(٥)؛ فـ"اختلاف الأسلوب يؤدي بنا إلى التعرف على مجموعاتٍ مختلفة من السور يُقارب بعضها البعض الآخر زمنيًا، وتبرز بشكلٍ خاصٍ مجموعتان، تتألف إحداهما من السور القديمة الجياشة المشاعر، فيما تتألف الأخرى من السور المتأخرة التي كثيراً ما تُقارب أسلوبها السور المدنية، بين هاتين المجموعتين نجد مجموعةً أخرى مثل حلقة وصلٍ بينهما، تنتقل بنا بالحدارٍ تدريجي من المجموعة الأولى إلى الثالثة، علينا إذن أن نُميز بين سورٍ نشأت في ثلاث فترات"^(٦) بين مكية خالصة وبين مكية متطورة وبين مدنية ذات أسلوبٍ تطوري أرقى وأكثر وضوحًا وذات مقاطع طويلة تناقش فكرةً واحدة. وهكذا تبرز بوضوح مركزية الفيلولوجيا ودورها عند نولده في صياغة تاريخ للقرآن الكريم "فاللغة والأسلوب... يُقدِّمان لنا عادةً خدماتٍ جليلة من أجل تحديد زمن نشوء السور"^(٧).

وإذا ما انتقلنا إلى بلاشير^(٨) في كتابه: القرآن؛ فبالإضافة إلى التسليم الأولي لنولده؛ نجده يُحاول أن يطور هذا الطرح التاريخي؛ فيجعل من القرآن انعكاسًا لواقع النبي ﷺ، يقول: "إنَّ سيرة النبي تُشير كيف كان القرآن انعكاسًا

(١) السابق، (٧/١).

(٢) السابق، (٨/١).

(٣) السابق، (١٨/١).

(٤) السابق، (٣٢/١).

(٥) السابق، (٣٢/١).

(٦) السابق، (٦٦/١)، وانظر من نفس الكتاب (ص ٦٨ وما بعد).

(٧) نلديكه، (٩٨/١).

(٨) ريجي بلاشير (١٩٧٣-١٩٠٠) مستشرق فرنسي، اشتغل على ترجمة القرآن الكريم بالإضافة لاهتمامه بالأدب العربي، بدوي، (ص ١٢٧).

لصعوباتٍ مثلاً، وجهادٍ روحي وحربي قاده محمد أثناء دعوته في مكة ثم بعد سنة (٦٢٢م) في المدينة... وهذه النظرة تأكدت بمقدار ما أجاد علمُ الإسلاميات في تحديد ما كان من العلاقة بين الظروف السياسية والاجتماعية والدينية، حيث ثمت هذه الرسالة، وبين محتوى التبليغات التي جُمعت فيما تُسميه القرآن^(١)؛ حيث يعتقد أنَّ النص القرآني تطوّر فكانت بداية إعدادهِ في حياة الرسول - ﷺ، ثم استمر هذا الإعداد والتكوين على يد الخلفاء الراشدين، ثم الفقهاء والمفسرين طوال قرنين من الزمان، وفق المنهج الفيلولوجي التاريخي الذي حاول من خلال تركيزه على النصوص والأسلوب اللغوي أن يسرد مراحل تكوّن المصحف، ويُحدد لكل مرحلةٍ سماتاً لغويةً موجودةً في النص، ويعمل على التطرق لأصولها من حيث الموضوعات أو المضمون؛ فيقول مثلاً: "خلال المرحلة الأولى المشتملة على الأعوام العشرين من الدعوة الإسلامية التي قام بها محمد نفسه... لاشك أن مفهوم النص المكتوب كان حاضراً في أذهان المهتدين المبكين الأول الذين لم يجاوز عددهم المئة إبان الهجرة سنة (٦٢٢م)، ولقد أمدهم بذلك المفهوم ما كانوا يعرفون من التوراة التي كانت بين أيدي المسيحيين واليهود في المدينة، أو أناجيل نصارى نجران والحبشة الذين كانوا على علاقات تجارية بهم"^(٢).

وقد شارك في هذا النوع من البحث الفيلولوجي لتأريخ القرآن عددٌ من المستشرقين مثل: موير^(٣)، وجولد تسيهر^(٤) وغيرهم، هذا من جهة، ومن جهةٍ أخرى فهذه الدراسات متعلقةٌ بالبحث والتأريخ للسنة النبوية وسيرة النبي ﷺ؛ ويُعد وليم موير من أهم من اهتم بالتأريخ للسيرة النبوية في كتابه: حياة محمد، وكتاب شهادة القرآن على الكتب اليهودية والمسيحية، والذي عدّه كثيرٌ من المستشرقين آنذاك، بمثابة الموسوعة الغربية لسيرة النبي ﷺ التي رجع فيها إلى عددٍ من المصادر العربية. لكن مولر عرض لسيرة الرسول ﷺ وفق منهج الفيلولوجيا التاريخية؛ ولهذا أخذ يُرجع الوحي الإلهي المنزل على الرسول ﷺ إلى أصولٍ مسيحية، ويؤكد على أن الإسلام منحولٌ عن التراث المسيحي بشكلٍ كبير. وهنا يحسن أن نعلم بأن مولر عمل لحساب مؤسسات التنصير أثناء الاحتلال الإنجليزي للهند، فكان يكتب لهدفٍ يُعين هذه البعثات التبشيرية على غاياتها وتنصير المسلمين^(٥). وقد تابع مولر في هذه القراءة للسيرة النبوية ومحاولة إرجاعها إلى حضاراتٍ سابقة دراساتٍ قَدّمها مستشرقون كثر مثل: جوستاف فايل^(٦)

(١) بلاشير، ١٩٧٤، (ص ٢٥).

(٢) السابق، (ص ٢٧، ٢٨).

(٣) وليام موير (١٨١٩-١٩٠٥) مستشرق ومبشر انجليزي، عمل للاستعمار الإنجليزي في الهند واشترك في حملة التبشير والقضاء على الإسلام، ويعد كتابه السيرة النبوية أحد أبرز جهود التي عمل فيها موير على خدمة البعثة التبشيرية، بدوي، (ص ٥٧٨).

(٤) اجنتس جولد تسيهر (١٨٥٠-١٩٢١) مستشرق يهودي مجري، اهتم بالشرعية الإسلامية بشكل خاص وألّف في ذلك كتابه الشهير: العقيدة والشرعية الإسلامية، وكتاب الظاهرية ومذاهبهم وتاريخهم، بدوي، (ص ١٩٧-٢٠٣).

(٥) انظر: بدوي، (ص ٥٧٨، ٥٧٩).

(٦) جوستاف فايل (١٨٠٨-١٨٨٩) مستشرق ألماني يهودي، اشتهر باهتمامه بالتاريخ الإسلامي والدراسات النقدية للقرآن والسيرة النبوية، بدوي، (ص ٣٨٩-٣٩١).

في كتابه: النبي محمد حياته ومذهبه، واشبرنج^(١) في كتابه: حياة محمد وتعاليمه، وغيرهم.

وتُعد دراسة جولد تسيهر للحديث النبوي من أهم التطبيقات للفيلولوجيا التاريخية؛ حيث اعتُبر فيها أنَّ الحديث النبوي نشأ نتيجةً لرغبة المسلمين في إيجاد نموذج بشري عملي يعيش وفق إرادة الله، ومع الجمع لسيرة هذا النموذج - المتمثل في شخصية الرسول ﷺ - اعتُبرت قداسُها مَصَدراً معرفياً يقارنه تسيهر بعمل اليهود في التلمود. والمهم هنا أنَّ البحث الفيلولوجي للنص قد قرر تسيهر من خلاله أنَّ جوهر الأحاديث النبوية يُعد اقتباساً مُعدَّلاً من: مُجمل العهدين، وأقوال الرابانيين الموجودة في الأناجيل، وتعاليم الفلسفة اليونانية، وأقوال من حكم الفرس والهنود؛ ولهذا يرى أنه من باب الحديث النبوي دخل إلى الإسلام الكثير من القصص الديني الموجود في الكتب المقدسة والحضارات السابقة فيقول: "حتى إذا ما نظرنا إلى المواد المعدودة في الحديث، ونظرنا إلى الأدب الديني اليهودي؛ فإننا نستطيع أن نُعثر على قسم كبير دخل الأدب الديني الإسلامي من هذه المصادر اليهودية"^(٢). وهكذا إذن تُفيد آلية المقارنة والمقاربة الفيلولوجية تاريخانية الوحي: القرآن والسنة، وبفعل آلية التأثير والتأثر تُقرأ نصوص الوحي باعتبارها تطوراً للشرائع السابقة ولنصوص الكتاب المقدس، على اختلاف بين المستشرقين في أيهما أكثر وأوضح أثراً على القرآن والسنة فهو العهد القديم أم الجديد.

أما الجهة الأخرى التي عمل فيها المستشرقون، فتكمن في: محاولة إيجاد معجم لغوي - لألفاظ نصوص الوحيين - يقوم على الفيلولوجيا التاريخية؛ وذلك من خلال العمل على إرجاع الألفاظ الواردة في القرآن إلى اللغات السامية السابقة، أو يبحث مرادفاتُها في اللغات السامية السابقة، وهو عملٌ أسَّس له نيلدكه في تاريخ القرآن، فنجده يُرد ألفاظ القرآن إلى لغاتٍ سابقة كالسريانية والآرامية والعبرانية، كما أنَّ مونتغمري وات في تحليله لحتوى السور القرآنية يقول: "إنَّ (التزكية) في القرآن الكريم تعني (الإسلام) الذي يعني تطهير النفس بإسلامها لله سبحانه وتعالى، ويبدو أنه عند التفسير ينحو المفسرون نحو ذلك، لكنَّ هناك اختلافاً طفيفاً فيما يتعلق بالمعنى الدقيق الذي تتناوله هنا، فكلمه (تزكى) في المرحلة المكينة... تُرد في النص القرآني بالمعنى نفسه لجذر الكلمة بالعربية والآرامية والسريانية، إذ إنها تعني (التطهر الخُلقي) وهي فكرة غامضة وصلت للعقل العربي من خلال تأثيراتٍ يهوديةٍ ومسيحيةٍ في مقابل (التطهر الطقسي) أو (التطهر الشعائري)... الموجود في العقائد الوثنية"^(٣)، كما "يذهب وات إلى أنَّ كلمتي: (قرأ) و(قرآن) تنتمي إلى مجموعة المفردات الدينية التي أدخلتها المسيحية في شبه الجزيرة العربية، فكلمة (قرأ) تعني: تلا بوقارٍ نصّاً مقدساً، وأما كلمة (قرآن) فهي الكلمة السريانية (كريانه) التي تعني (القراءة) أو دَرَس من الكتاب المقدس، ويُفترض أنَّ الفعل (اقرأ) يعني في سورة العلق (أتلو من الذاكرة)،

(١) ألويس اشبنجر (١٨١٣-١٨٩٣) مستشرق انجليزي نمساوي الأصل، يُعد كتابه حياة محمد أول كتاب أوربي حاول من خلاله الرجوع إلى الكثير من المصادر العربية المتعلقة بسيرة الرسول ﷺ، ورغم ذلك قدَّم فيه صورةً متحاملةً على النبي ﷺ، وعَمِل على التنقص من الذات الشريفة، والالتزام بالهستريا، ونحو ذلك من مظاهر الشطط عن طريق الحق، بدوي، (ص ٢٨-٣٢).

(٢) تسيهر، (٢٠١٨م)، (ص ٥١، ٥٢).

(٣) وات، (٢٠٠٢م)، (ص ١٤٧).

أي: ما قد بلغ إليه بأسلوبٍ خارقٍ للطبيعة، ويسأل وات: (لمن يتلو محمد؟ وفي أية مناسبة؟ ويجب أنه لم تُناقش الأحاديث النبوية هذا السؤال بوضوح، وأن التفسير الأكثر ملاءمةً أنَّ محمدًا يتلو ما أتاه كجزءٍ من صلواته لله، وأنَّ المعنى يُطابق الاستخدام السرياني للكلمة^(١).

كما يُعد مشروع كريستوف لوكسمبورغ^(٢) في كتابه (قراءة آرامية سريانية للقرآن) مساهمةً في فيلولوجيا المعجم اللغوي لألفاظ القرآن، والذي كان من أهم ما قرّر فيه "أنَّ القرآن الكريم ليس مكتوبًا بالعربية، بل بلغةٍ مزيج تجمع العربية والآرامية التي كانت مستعملة في مكة في زمان محمد - ﷺ...، كما أنَّ أجزاءً كبيرةً من القرآن ليست عربيةً صحيحةً نحويًا، وإنما تحتاج لأنْ نقرأها قراءةً آراميةً"^(٣). وهكذا إذن تتمثل المحاولة الإرجاعية لأصل التركيبات والألفاظ اللغوية للتشكيك في أصالة عربية القرآن الكريم، ومحاولة رد ألفاظه إلى مصادرٍ تاريخيةٍ سابقةٍ من ناحية المضمون واللغة على حدٍ سواء.

أما عن النتائج التي توصلت لها فيلولوجيا القرآن والسنة النبوية في الفكر الاستشرافي فتتمثل في: مادية وبشرية الوحي نصًّا ومضمونًا، ومحاولة إثبات تأثره بالديانات الكتابية، والتسوية غير العلمية بين القرآن وغيره من الكتب السابقة، ونزع القداسة عن الوحيين، وإبعاد نسبتها المتعالية، فقد "أراد المستشرقون الفيلولوجيون إسقاط النتائج التي خرجوا بها من النقد الفيلولوجي التاريخي لكتبهم الدينية على القرآن الكريم، حيث كان هدفهم من الدراسة الفيلولوجية (إثبات أنَّ القرآن يخضع لأثر البيئة، ويتطور بتطورها، وتنعكس فيه المصالح الاجتماعية والتوجهات السياسية)"^(٤)، والمقدمة الأولى الخاطئة التي يستند إليها الاستشراق هنا تكمن في: رد القرآن الكريم إلى التوراة والإنجيل التي ثبت -بموجب الفيلولوجيا ذاتها- تأخر تاريخ تدوينها والاستقرار على مضمونها التعبدية عن القرآن؛ وحينئذٍ كيف نرد ما سبق إلى ما هو متأخر عنه؟! بل القرآن هو الحاكم الشاهد على صدق ما في هذه الكتب من الحق، وأمينٌ على بيان ما تضمنته^(٥) كما قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ [المائدة: ٤٨].

(١) المستشرقون الألمان لرضوان السيد، (ص ١١١).

(٢) اسم مستعار لباحث يُعرف نفسه بأنه عالم لغويات متخصص في اللغات السامية القديمة، اشتهر بأطروحته في الطعن في عربية

القرآن، ومحاولته الفيلولوجية رد ألفاظ القرآن الكريم إلى اللغة السريانية، انظر: بوقفه، (٢٠٢٢م)، ج ٣٤، (ص ٣٣).

(٣) بوقفه، (ص ٣٨).

(٤) رجب، (٢٠١٦م)، العدد (٢٤)، ج ١٥، (ص ١٨٩).

(٥) انظر: القرني، (٢٠٢١م)، ج ٥٨، (ص ٢٧)، القرني، (٢٠٢٢م)، ج ١٩، العدد (٢)، (ص ٢٨٩-٢٩٣).

أما المقدمة الثانية التي بنوا عليها نتائجهم فتكمن في: اعتقاد قائم على أنَّ التشابه بين هذه الكتب المقدسة يقتضي بالضرورة بطلان المتأخر منها، وهذا باطل لا يُسلم به عقلاً ولا واقعاً، وقد قال الله تعالى مخاطباً نبيه الكريم: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَإِبْرَاهِيمَ وَهَارُونَ وَصَالِحِينَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣].

المطلب الثاني: آليات المنهج الفيلولوجي في دراسة اللغة العربية

لقد اهتم المستشرقون بالبحث في اللغة العربية، وتحقيق عددٍ من المخطوطات المتعلقة بكافة العلوم المتعلقة بها، من: النحو، والصرف، والبلاغة، بل والأدب العربي. وهذا الاهتمام ليس وليد الاستشراق المنظم الذي بدأ في القرن الـ(١٩) الميلادي؛ وليس "اهتمام الإفرنج بالأدب العربية حديثاً، فإنه يرجع إلى الأجيال الوسطى قبل نهضتهم الأخيرة لإنشاء تمدنهم الحديث. ويُقسّم عملهم في هذا السبيل إلى دورين: الأول اشتغالهم بنقل العلوم الطبيعية والرياضية في أول نهضتهم، والثاني اشتغالهم باللغات الشرقية وآدابها"^(١)، ويُعد دي ساسي^(٢) من أوائل المهتمين بالبحث في اللغة العربية والمؤسس للنهج البحثي في اللغة العربية وآدابها، "ومن مؤلفاته الهامة كتاب النحو العربي في مجلدين كبيرين لتعليم هذا اللسان للإفرنج، وكتاب قراءة فيه منتخبات من كُتب العرب، سمّاه الأنيس المفيد للطلاب المستفيد، طُبع في باريس سنة (١٨٢٧م)، وله مؤلفات في تاريخ العرب الجاهلية"^(٣).

أما النهج الفيلولوجي التاريخي للغة العربية وآدابها فهو الجهد الذي تأسس مع رينان حينما عمل على وضع "تاريخه العام والنظام المقارن للغات السامية"^(٤)؛ وفيه أنَّ النظام العلمي للغات يتكون من "قسمين أساسيين، يشتمل القسم الأول على التاريخ الخارجي للألسن التي تُكونه ودورهم في الزمان والمكان، جغرافيتهم، وتسلسلهم الزمني، فالترتيب وطبيعة الآثار المكتوبة التي تُعرفنا به. وأما قسمه الثاني فيتضمن تاريخ الألسن الداخلي والتطور العضوي لأساليبهم، أي لنحوهم المقارن"^(٥). وما يهم هنا هو أنه بالاعتماد على البحث في مسألة أصل اللغات "ناقش - رينان - فرضية وجود لغات سامية أصيلة تفرعت عنها كلُّ اللغات السامية الأخرى"^(٦) والتي تتمثل في: العبرانية والآرامية والعربية، وقد قسّم العهد العربي للغات السامية إلى "فرعين متميزين هما: فرع الجنوبيين ممثلاً في

(١) زيدان، (٢٠١٣م)، (ص١٣٤٣).

(٢) سلفستر دي ساسي (١٧٨٥-١٨٣٨) شيخ المستشرقين الفرنسيين، اهتم خاصة بدراسة الجانب اللغوي في الفكر الإسلامي وترجم عدة كتب إلى الفرنسية وحقق عدة كتب من أشهر أعماله تحقيق كتابي: مقامات الحريري، كليلة ودمنة، بدوي، (ص٣٣٤-٣٣٨).

(٣) زيدان، (ص١٣٤٦).

(٤) معريش، (٢٠٠٩م)، (ص٢٦٨).

(٥) السابق، (ص٢٦٨).

(٦) السابق، (ص٢٦٨).

الجنوبيين والغز، وفرع معاد أو إسماعيل ذي اللسان العربي الذي امتص كل إخوته من اللغات والألسن واللهجات، وأضحى إلى القرن الد(١٣هـ/١٩م) يُمثل وحدة العائلة السامية^(١). وجُهد رينان هذا هو بمثابة البوابة التي من خلالها احتلت اللغة العربية وآدابها محل الصدارة في البحث ضمن اللغات السامية بل والإسلامية الأخرى - كالفارسية والتركية - في الشرق، وهو بمثابة المدخل للتأريخ لأصالة آداب اللغة العربية، بمعنى مسألة أصالة العلوم المرتبطة بها كالنحو والأدب، وبالفعل فقد بحث رينان هذه المسألة في كتابه السابق وانتهى إلى أصالة النحو العربي لتعلقه بالقرآن الكريم؛ إلا أنّ هذه الأصالة تحتل مرتبةً أدنى لكونها نتاج عقلية الإنسان السامي الذي تتسم عقليته بالضعف العام؛ "فمن خلال علم الساميات المقارن راح رينان يُصدر أحكاماً على الإنسان السامي...، فصار العرق السامي عرقاً غير مكتمل...، فهو يفتقر إلى ذلك التنوع، وذلك الثراء الذي عرفه العرق الهند - أوروبي...، والأمم السامية لم تعرف إلا جردةً ضئيلةً من الإبداع المخصب...، إنما أممٌ في حالةٍ تثبيتٍ طفولي كما تدلُّ بدائيتها لغاتها"^(٢).

والمهم أنّ مسألة أصالة النحو العربي ومحاولة تحديد أصوله التاريخية مسألة اعتنى بها المستشرقون بعد رينان؛ فقدّم جولد تسيهر الفرضية المعارضة لمسألة أصالة النحو العربي التي قرّرها رينان واعتبر "أنّ القضية ليست ما إذا كان النظام النحوي اقترض، ولكنّ القضية هي كيفية وصول العرب إلى المحتويات اللغوية الأساسية في تحليلات أقسام الجمل، وأقسام الكلام، والوصول إلى تعقيد قواعد، كل ذلك في غياب أي تأثير أجنبي"^(٣)، وي طرح لهذا فرضية الأصل السرياني للنحو العربي؛ ويُفسر ذلك بالاستناد إلى عددٍ من الأمور التي تتضمنها أساليب العربية مثل "علامات الصوائت"^(٤) التي تُكافئ أو تُشابه نظائرها في السريانية، لكنها برغم ذلك "سُجلت في الكتب العربية على أنّها من إبداع أبي الأسود الدؤلي، بينما أصلها الأجنبي غير مشار إليه...، ويذكر تسيهر أنّ أقسام الكلام الثلاثة - يعني الاسم والفعل والحرف - التي هي مفترضة معرفتها في تراث أرسطو، نُسبت في الكتب العربية إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه"^(٥)، كما أنّ الفرضية الأكثر تطوراً في بحث تاريخية النحو العربي تمثلت في زعم أحد المستشرقين ب"أنّ العرب أخذوا عناصر نحوهم من الفكر اليوناني ولكنّ بواسطة السريان"^(٦)، فالنحاة السريان أخذوا تعاليمهم من النحو اليوناني "بينما أخذ العرب من تعاليم المنطق الأرسطي التي تحولت لهم من خلال

(١) معريش، (ص ٢٦٨).

(٢) سيد، (ص ١٤٦ بتصرف يسير).

(٣) جدامي، ٢٠١٦، (ص ٢٢).

(٤) السابق، (ص ٢٣)، ويراد بالصوائت: الحركات الاعرابية: الفتح، والضم، والكسر، بالإضافة إلى أصول المدود مثل: المد بالألف

دون الواو، انظر: السعران، (١٩٩٧م)، (ص ١٢٤).

(٥) جدامي، (ص ٢٣).

(٦) السابق، (ص ٢٤).

السريان^(١)، ودلائل هذا الأصل اليوناني للنحو العربي - بزعمهم - يكمن في: المصطلحات النحوية، وتقسيم الكلام إلى حرفٍ واسمٍ وفعل، "وفي السبعينيات من القرن العشرين بدأت الفرضية اليونانية تُطل علينا مرةً أخرى من خلال روندجرين^(٢) وفرستيخ^(٣) وغيرهم،" ويُقرر روندجرين أنَّ التأثير اليوناني في النحو العربي يرجع إلى مرحلةٍ ما قبل ترجمة العلوم اليونانية للعرب، مُشيراً إلى أنَّ المعرفة بالمنطق اليوناني والفلسفة اليونانية وصلت إلى العرب من خلال الترجمات الفارسية^(٤)، بينما يرى فرستيخ "أنَّ التأثير كان مأخوذاً من الممارسة الحية للنحو التعليمي في المدارس الهلينية في الأقاليم البيزنطية"^(٥) ويستدل لهذا التأثير من خلال مقارنة مصطلح القياس بمعناه عند اليونان بدلالته واستخدامه عند النحاة العرب، وهكذا توالى أطروحات المستشرقين في فيلولوجيا النحو العربي وتأريخه بإرجاعه إلى أصولٍ سابقة، ما يُفيد عدم أصالة هذا العلم.

ولم يكن النحو العربي فقط هو محل اهتمام المستشرقين بل اهتموا بتاريخ الأدب/ الشعر العربي؛ حيث مرث دراستهم له "بأطوار ومراحل، امتاز الطور الأول بخصوصية البحث عن مقارناتٍ بكتاب العهد القديم، وشرح الألفاظ التوراتية، ثم صاروا يدرسون الشعر لأهدافٍ وأغراضٍ فنيةٍ جمالية....، أما في الطور الأخير فقد صار المستشرقون يبحثون في الشعر عن عادات العرب، ومشاعرهم المتميزة، وعن ذكريات تاريخهم"^(٦). وما يهمننا هنا هو تلك المرحلة التي كان الاشتغال فيها بالأدب العربي يدخل ضمن منهجية الفيلولوجيا التاريخية عند المستشرقين - مع التأكيد على أنَّ أطوار اشتغالهم هذه لم تبعد عن هذا الهدف التاريخي، بل مازال الأدب يُنظر إليه بمنظار الاجتماع والأنثروبولوجيا وبوصفه إحدى بوابات فهم الفكر العربي الإسلامي، ويُعد بروكلمان^(٨) من أشهر المستشرقين الذين حاولوا التأريخ للأدب العربي في كتابه الأهم: "تاريخ الأدب العربي، الذي يُعد في الحقيقة تاريخاً للكتابة العربية عبر العصور، وفي شتى الفنون، والمؤلفات والمؤلفين، ومن القرن ٣ وحتى... أوائل القرن (١٤) الهجري، وقد عمل بروكلمان أربعين عاماً في كتابه، وأصدره في ثلاثة مجلدات، كل مجلدٍ يزيد على الألف صفحة"^(٩)، وكان من أهم ما قدّمه فيه رفضه أنَّ يكون الشعر الجاهلي يمكن أن يعود لأصولٍ في حضاراتٍ سابقة

(١) السابق، (ص ٢٥).

(٢) لم نقف على ترجمة له بالعربية.

(٣) كيس فرستيخ (١٩٤٧م) مستشرق هولندي، اهتم خاصة بالجمال اللغوي في الحضارة الإسلامية والعربية. من أهم أعماله: عناصر يونانية في الفكر اللغوي العربي، انظر: علي، ٢٠٢٤، (ص ٥٩، ٦٠).

(٤) جدامي، (ص ٢٧).

(٥) السابق، (ص ٢٧).

(٦) السابق، (ص ٢٩).

(٧) معريش، (ص ٢٨٤).

(٨) كارل بروكلمان (١٨٦٨-١٩٥٦) مستشرق ألماني، اهتم باللغة العربية والأدب العربي خاصة من أبرز أعماله: تاريخ الأدب العربي، والنحو المقارن للغات السامية، بدوي، (ص ٩٨-١٠٥).

(٩) السيد، (ص ٧١).

يقول: "وأما ما زعمه بعض العلماء من أن مؤثرات أجنبية أثرت في فن الشعر القديم فليس هناك ما يؤيده"^(١)؛ لكنه بالرغم من هذا قارب بين لغة الشعراء الجاهليين المعاصرين لزمن الرسول ﷺ ولغة القرآن الكريم، حيث اعتبر أن الرسول ﷺ يقدم كلاماً بلغة الكهان التي تعتمد الإكثار من السجع^(٢)؛ فنتيجة لكون القرآن كتاباً بشرياً ولغة بشرية... اعتقد أن أكثر شعراء الجاهلية المعاصرين للدعوة إلى الإسلام قد انطبع شعورهم بطابع الوحي ويمكن التماس التقارب بينهم^(٣)، لكن تبقى نتائج محاولة بروكلمان الفيلولوجية في مجملها لا تُصادر على أصالة الأدب العربي، وهذا توجهه بدأه مرجوليوت^(٤) في كتابه: أصول الشعر الجاهلي؛ حيث قرر فيه "أن الشعر الجاهلي والإسلامي اختراع متأخر...، بمعنى أن القصائد والمقطوعات التي نقرأها على أنها إنتاج شعري قاله شعراء ينتمون إلى العصر الجاهلي وإلى صدر الإسلام إنما هي من نظم طائفة من الكذابين الوضّاعين في العصر العباسي"^(٥). وما يُشير إليه الله ﷻ من نفي أن يكون القرآن كلام شاعر، والسورة الواردة باسم الشعراء في القرآن، فهي على أن "النتيجة التي يخول لنا - يقول مارجليوت - القرآن استخلاصها هي أنه قبل نزوله كان هناك عند العرب نوع من العرفان يُسمون بالشعراء تجنح أقوالهم إلى الغموض... في النبوءات"^(٦)، وهذا ما يُسميه بالدليل الداخلي للكشف عن عدم أصالة الشعر الجاهلي واعتباره اختراعاً متأخراً، وقد سمح هذا البحث بطرح السؤال الفيلولوجي عن أصل الشعر العربي وإعادة صياغة تاريخه على يد المستشرقين، ولقد لقي الاهتمام باللغة العربية وآدابها بمنظور المستشرقين الفيلولوجيين تأثراً وقبولاً من جانب عدد لا بأس به من المفكرين العرب، فـ"جورجي زيدان... أفاد من الكتابات الألمانية في هذا المجال"^(٧)، إلى جانب أحمد أمين وأركون وغيرهم.

وإذن فقد تعامل المستشرقون الفيلولوجيون فيما يتعلق باللغة والأدب العربيين بوصفهما امتداداً لسياق تاريخي يرجع إلى الحضارة اليونانية، ثم الأوربية والغربية الحديثة؛ فما مثّلت تلك اللغة لحظة أصالة أو فارق تاريخي، بل هم يؤكدون أنه بواسطة الفيلولوجيا يمكن معرفة مصادر ومعاني وألفاظ تلك اللغة والقول بأنها وُجدت إما في نصوص العهد القديم أو في المنطق الفلسفي اليوناني، وهو مشروع سيُسَهّل لاحقاً عرض المستشرقين لـ"مسألة وحدّة اللغات"^(٨) وإرجاعها إلى منطق واحد، والمصادرة على الخصائص وما تتفرد به كل لغة ومن ثم تطورها.

(١) بروكلمان، (١/٦٢).

(٢) انظر: السابق، (١/١٣٤، ١٣٥).

(٣) انظر: السابق، (١/١٤٥ وما بعد).

(٤) دافيد صمويل مرجوليوت (١٨٥٨-١٩٤٠) مستشرق بريطاني، اهتم بدراسة اللغات السامية، في (١٩٠٥م) بدأ دراسته عن الإسلام وقدم في ذلك كتابه محمد ونشأة الإسلام، اتسمت آرائه بالتعصب والخروج عن الروح العلمية، بدوي، (ص ٥٤٦).

(٥) مارجليوت، (٢٠٠٦م)، (ص ١١٧).

(٦) السابق، (ص ١٦).

(٧) السيد، (ص ٧٢).

(٨) معريش، (ص ٢٩٥).

المطلب الثالث: آليات المنهج الفيلولوجي في دراسة الحضارة والتاريخ الإسلامي

وكما اهتم الاستشراق بتقديم دراساتٍ للقرآن الكريم والسيرة النبوية واللغة العربية وفق منهج فيلولوجي يحاول أن يبحث في أصولها، ويُعيد صياغة تاريخها؛ فقد اهتم بالعلوم المختلفة التي ازدهت في الحضارة الإسلامية سواءً المتعلقة بالدين والمتصلة به كعلم الكلام، والفقه الإسلامي ونحوها، أو تلك المتصلة بالكون والطبيعات والتي كان كثيرٌ من أعلام المسلمين وفلاسفتهم مهتمين بها وينظرون إليها بنظرة تكاملية، لا تفصل بينها. والاستشراق حاول دراسة أصول هذه العلوم والتأريخ لها من خلال الرجوع إلى النصوص ذاتها ومعرفة أصولها وهويتها، وتقديم تأريخٍ جديدٍ لها بناءً على البحث الفيلولوجي، وهذا كما في مقولة المستشرق الألمان رودولف بارت التي عبّر فيها بقوله: "نحن معشر المستشرقين اليوم حينما نقوم بدراساتٍ في العلوم العربية والعلوم الإسلامية لا نقوم بما قط لكي نُبرهن على ضعة العالم العربي الإسلامي، بل على العكس، نحن نبرهن على تقديرنا الخاص للعالم الذي يُمثله الإسلام ومظاهره المختلفة...، ونحن بطبيعة الحال لا نأخذ كلَّ شيءٍ ترويهِ المصادر على عواهنه دون أن نُعمل فيه النظر، بل نُقيم وزناً فحسب لما يثبت أمام النقد التاريخي أو يبدو أنه يثبت أمامه، ونحن في هذا نُطبق على الإسلام وتاريخه، وعلى المؤلفات العربية التي نشغل بها، المعيار النقدي نفسه الذي نُطبقه على تاريخ الفكر عندنا وعلى المصادر المدوّنة لعالمنا نحن"^(١)؛ فهي إذن منهجيةٌ يُدرس بها الإسلام وتاريخه ومعارفه وآدابه كما دُرِس بها الفكر الغربي.

ومن أهم الذين اشتغلوا بفيلولوجيا العلوم والمعارف في الحضارة الإسلامية: تسهر الذي يُقرر: "أنَّ نمو الإسلام مصطبغٌ نوعاً بالأفكار والآراء الهلنستية. ونظامه الفقهي الدقيق يُشعر بأثر القانون الروماني. ونظامه السياسي - كما تكوّن في عصر الخلفاء العباسيين - يدل على عمل الأفكار والنظريات السياسية الفارسية. وتصفوه ليس إلا تمثلاً لتيارات الآراء الهندية والأفلاطونية الجديدة الفلسفية. على أنَّ من الحق أن نقرر أنَّ الإسلام في كل هذه الميادين قد أكد استعداده وقدرته على امتصاص هذه الآراء وتمثلها، كما أكّد قدرته كذلك على صهر تلك العناصر الأجنبية كلها في بوتقةٍ واحدة؛ فأصبحت لا تبدو على حقيقتها إلا إذا حلّلت تحليلاً عميقاً، وُجِئت بحجاً دقيقاً"^(٢)، إلى جانب "شيدر الذي يثير ذلك الجدل... حول هوية الإسلام والحضارة العربية وهل هي سامية أم هيلينية؟ وهو جدالٌ بدأ قديماً أيام إرنست رينان، وقد تأثر وقتها بالنظريات العنصرية النابعة من التطورية الداروينية، والوضعانية الكونتية"^(٣) - نسبةً لعالم الاجتماع الفرنسي أوجست كونت، وهذا حقيقيٌّ فإنَّ رينان كان من أوائل المهتمين بفيلولوجيا العلم والعلوم في الحضارة الإسلامية؛ وكان قد قدّم مجمل آرائه في هذا الشأن في

(١) بارت، (ص ١٥، ١٦).

(٢) تسهر، (ص ١١).

(٣) السيد، (ص ٦٩، بتصرف يسير).

محاضرة بعنوان: "الإسلام والعلم"^(١)، وفيها اعتبر رينان أن "ما يُسمى بالعلم عند العرب ليس فيه من العروبة إلا الاسم...؛ فكأن الكتب التي كتبها ابنُ سينا وابن زهر وابن رشد وغيرهم قد كُتبت بالعربية لا يعني أن فيها شيئاً أنتجه الجنس العربي"^(٢)، كما باعد بين الإسلام والعلم، فلا يمكن أن يكون الإسلام سبباً في التألق العلمي والحث عليه وتطور البيئة العربية والإسلامية والأخذ بها إلى مصاف العلمية والتقدم؛ ف"موقف الإسلام من العلم هو نفس... موقف المسيحية من العلم"^(٣) حين رفضته وحاربته؛ ولكون الإسلام ديناً فمن المفترض أن يعادي حرية العقل والتفكير وإنتاجه المتمثل في العلم؛ ف"طالما كانت هناك جماهيرٌ متدينة، أي آراء تقول بها الكافة في أمةٍ من الأمم على نحوٍ شبه جماعي؛ فإنَّ حرية البحث والمناقشة لم تكن ممكنة. إنَّ ثقلاً هائلاً من الحماقة قد سحق العقل الإنساني"^(٤) بسبب الروح الدوجماتية التي ييثرها الدين الإسلامي هنا. وأثر هذا في نزح أصالة المعارف والعلوم التي قدّمها العربُ المسلمون، والقبول بتفعيل آلية التأثير والتأثر أو الإرجاعية في تأريخ العلوم العربية والإسلامية لأصول سابقة، وتقليد التصور الكلاسيكي للاستشراق في المعاهد والجامعات البريطانية والفرنسية والألمانية وغيرها، الذي يتمثل في أن "بلاد الإغريق والرومان هم وحدهم ينبغي أن يُعدوا مصادر ثقافتنا - أي الغرب، وأنهم لذلك ينبغي أن يظلوا دائماً يُمثّلون بالنسبة لنا الفكرة المحورية للبحث الفيلولوجي التاريخي"^(٥).

ومن هذه الخلفية المنبثقة عن أعمال آلية التأثير اشتغل المستشرقون بالتأريخ لعددٍ من العلوم الإسلامية؛ منها علم الكلام الإسلامي، وقد اعتبر المستشرقون أن تاريخ البداية الحقيقية لوجود هذا العلم يُبنى على فهم سببين رئيسين: داخلي يتمثل في الحاجة التي ولدت هذا العلم عند المسلمين، والتي تتمثل في عدم كفاية القرآن والسنة، أو ما يُسمونه بالفقه، بالإجابة عن متطلبات الفكر الإسلامي؛ حيث "الإسلام في نظر المستشرقين لم يكن ديناً كاملاً ومتكاملاً البناء، ثم إنه يحتاج إلى علم الكلام ليُتممه ويُكمل بنيانه كما صرح بهذا جولدستيهير"^(٦). وسبب خارجي يتمثل في العوامل السياسية، والمجاذلات التي دخل فيها عددٌ من المسلمين مع النصارى خاصة، و"التعريب عن اليونانية... وقد كان له التأثيرُ الأعظم في نشأة علم الكلام... ولا سيما تعريب فلسفة أرسطو"^(٧)، وبفضل ذلك كله استطاع المسلمون تطوير القرآن، أي تطويره إلى الكلام الإسلامي؛ بحيث استمد منهم المتكلمون الأفكار والمسائل التي لم تكن موجودة في العقيدة الإسلامية^(٨). أمّا في جانب الفلسفة الإسلامية فلا شك أن العنصرية التي

(١) بدوي، (ص ٣١٤).

(٢) السابق، (ص ٣١٤).

(٣) بدوي، (ص ٣١٧).

(٤) نقلاً عن بدوي، (ص ٣١٧).

(٥) مارشاند، (٢٠٢٢م)، (٢/٣٠).

(٦) التميمي، (٢٠١٨م)، (ص ٢٦٣ بتصرف يسير).

(٧) غريدي وقنواقي، (١/٧٥).

(٨) انظر: السابق، (١/٥٦)، التميمي، (ص ٢٧٦).

أشاعها رينان ضد الجنس السامي وعقليته لا يمكن لها أن تؤثر إلا في اتجاه نزع أصالة فلاسفة الإسلام وجهودهم، بل في نزع أصالة الفلسفة عن الشرق عمومًا وحصرها على العقل الغربي؛ وبناءً على ما سبق يُفسر رينان ازدهار العلم والفلسفة الإسلامية في عصور الظلام المسيحي؛ "بالتأكيد على أن الإسلام كان في البداية من إنتاج العرب البدو، الذين كانوا مثل غيرهم من الساميين يفتقرون تمامًا إلى أي اهتمام بالفلسفة أو العلم، وفيما بعد، خلال العصر العباسي، برزت الحضارة الفارسية القديمة والمعرفة اليونانية القديمة التي احتفظ بها المسيحيون المحليون تحت القشرة الإسلامية، وأنتجا ازدهار الفلسفة والعلم والثقافة"^(١)؛ بل "رأى رينان أن الخلفاء الذين أضفوا رعايتهم على هذا الازدهار الثقافي والعقلي يصعب أن تُسميهم مسلمين، وأنه بالرغم أن هذه الحضارة استعملت اللغة العربية، فإنها حقًا لم تكن عربية، وإنما كانت أساساً إغريقية وفارسية - أي آريّة"^(٢)، يقول شاخنت^(٣): بأن "هذه الفلسفة - يعني الإسلامية - جزء من تيار الفكر الإغريقي، وهي تستند بصورة دائمة إلى كبار حكماء العصر القديم"^(٤)، وأما الفقه الإسلامي/الشرعية فإن الفيلولوجيا الاستثنائية تقول بأنها "جاءت نتيجة نظرٍ وتدقيقٍ من الناحية الدينية في موضوعات القانون كانت بعيدة عن أن تتخذ صورة واحدة"^(٥)؛ فالفقه يشتمل "على عناصر من شرائع العرب في الجاهلية، وعناصر عديدة مأخوذة من شعوب البلاد التي فتحها المسلمون"^(٦)، وبالتالي هي خليطٌ مُنظم لمجموع شرائع اليهودية والنصرانية والفارسية وغيرها بالإضافة إلى جذورها الجاهلية كما يُصوره شاخنت؛ ولهذا لا يمكن للشريعة الإسلامية أن تكون حيًا وإلهيًا، "فهو لم ينشأ من عملية وحي متواصل فوق العقل،... وإنما نشأ من منهج عقلائي في فهم النصوص وتفسيرها"^(٧)، هذا كما أن التصوف الإسلامي هو وليد هذه الحضارات السابقة، يقول النشار: "إن الأبحاث التي قامت بها المدارس الأوروبية في دراسة التصوف الإسلامي اتجهت إلى تتبع مصادر التصوف في مختلف الثقافات التي أحاطت بالمسلمين...؛ فالمدرسة الإنجليزية لمشابهة عرضية حاولت أن تتلمس أصول التصوف في المسيحية وفي الأفلاطونية المحدثة، وحاولت المدرسة الفرنسية أن تبحث عن أصله في المسيحية. والألمانية - خلال تحليلاتها الفيلولوجية - حاولت أن تبحث عن أصله في البوذية والمصادر الإيرانية، وكذلك فعلت المدرسة الإسبانية... شغلت شغلًا كاملاً بفكرة التأثير والمؤثر، فالتصوف تأثر بالمسيحية وأثر فيها"^(٨). وهنا

(١) لوكان، (٢٠٠٧م)، (ص١٤٦، ١٤٧).

(٢) بدوي، (ص١٤٧).

(٣) جوزيف شاخنت (١٩٠٢-١٩٦٩) مستشرق ألماني، تخصص في الفقه الإسلامي وعلم الكلام، من أشهر أطروحاته: أصول الفقه الحمدي، بدوي، (ص٣٦٦-٣٦٨).

(٤) شاخنت، (١٩٨٤م)، (٦٧/٢).

(٥) شاخنت، (١٤٤/٢).

(٦) السابق، (١٤٤/٢).

(٧) السابق، (١٥٠/٢).

(٨) النشار، (٢٩/٣).

نلاحظ أنَّ الدراسات الاستثنائية لم تلتزم الفارق بين الجانب الروحي والوجداني للدين الإسلامي وبين التصوف وحياة الزهد التي وُجدت في الأديان والثقافات الوضعية الأخرى، بل جعلت هذا التقارب دليلاً على عدم أصالة هذا الجانب في المنظومة العملية للإسلام، مقررين كيف: "كان المتصوفة المسلمون حتى القرن التاسع، يختلفون إلى النُسك المسيحيين، يسألونهم في العقائد، وأنَّ عددًا لا بأس به من المقالات الأولى التي وضعت في الزهد الإسلامي يبدو نقلًا لموضوعاتٍ مسيحيةٍ بشيءٍ من التوسع والتصرف"^(١).

وليس الحال في مجال العلوم الطبيعية والطبية الإسلامية أفضل من سابقه؛ فهو ناشئٌ عن فاعلية العقل الإغريقي في المسلمين، يقول شاخ: إنه "برغم معرفة المسلمين المبكرة بالمتجزات العلمية للثقافات الأخرى وبخاصة الهندية؛ فإنَّ علوم الإغريق كانت هي التي قُدِّر لها أن تؤثر تأثيرًا حاسمًا على العالم الإسلامي"^(٢)، وقد دُرب الفكر الإسلامي ونضج من خلال المجادلات التي قامت ضد مسيحية كان لديها بالفعل لاهوت مبني على أساس فلسفي...، وكان معنى ذلك أنَّ المذاهب الأفلاطونية والأفلاطونية المحدثة والأرسطية أمدت المسلمين بالمقولات التي فهم الفكر الإسلامي وتمثَّل من خلالها منجزات العصور القديمة في ميداني الطب والعلوم بدورها"^(٣). وكما يرجع الجزء الأهم من تاريخ العلم في الإسلام إلى الإغريق، كذلك يمكن أن نجد جذورَ وأصولَ هذه العلوم في الحضارات الأخرى؛ وهذا كما يقول أحدهم بأنَّ: "التأثير الهندي هو العامل الحاسم في نشأة علم الفلك وحساب المثلثات عند العرب"^(٤)، وهذا التأثير مختلطٌ بالأثر الفارسي؛ لكنَّ يبقى "الجانب الأكبر من الأصول التي اعتمد عليها العرب في الرياضيات والفلك والبصريات يعود إلى اليونان؛ إذ إنَّ معظم الكتب التي ألَّفها علماء الإغريق أو كلها تقريباً تُرجمت إلى العربية"^(٥).

وهكذا تمتد سلسلة نفى الأصالة عن أي علمٍ يمكن أن يكون فيه للمسلمين والعرب يدٌ سبقي أو تاريخي داخلي خاصٌ أسهم في توجه العلم إلى عددٍ من المسائل دون غيرها، فتُصور هذه الإرجاعية العلماء المسلمين على أنهم مجرد مترجمين للعلوم الإغريقية ونقلٍ للعلم، ولهذا فإنَّ دور النهضة الحضارية الإسلامية عند المستشرق لا يُذكر عند الحديث عن العوامل التي ساهمت في نشأة العلم والنهضة الأوروبية، يقول شاخ: "لم تكن علوم المسلمين بطبيعة الحال العامل الوحيد الذي أدى إلى إحياء العلم في الغرب، فتقليد العلوم القديمة لم تتلاش تماماً وسط الفوضى التي عمَّت خلال عصر غزوات البرابرة لأوروبا... والأهم من ذلك أنَّ هذا العلم الغربي قد اكتسب مادةً أدت إلى إثرائه بدرجةٍ لا نظير لها بفضل الترجمات العربية عن الإغريق"^(٦).

(١) غريه وقناتي، (١/٥٧، ٥٨).

(٢) شاخ، (٢/٢١٤).

(٣) السابق، (٢/٢١٤).

(٤) السابق، (٢/٢٩٢).

(٥) السابق، (٢/٢٩٤).

(٦) شاخ، (٢/٢١٤).

وبهذا إذن تقوم الفيلولوجيا التاريخية الاستثنائية بالتشكيك في أصالة الحضارة الإسلامية والتاريخ الإسلامي؛ - فإنَّ العلم والتاريخ لا ينفصل أحدهما عن الآخر - وذلك بالانطلاق من آلية التأثير والتأثر، وطرح مسألة نشأة كل علمٍ من علوم الحضارة الإسلامية بدايةً باللغة العربية وآدابها، وحتى العلوم الطبيعية والكونية، وهو الإسناد الذي تقلده بعض المستشرقين وأسهموا في إيجاد خطابٍ يُبرَّر به الاستعمارُ في البلدان العربية والإسلامية، وأشهر مَنْ تقلَّد نتائج الفيلولوجيا المتعلقة بالحضارة الإسلامية من مستشقي القرن الـ(٢٠) برنارد لويس^(١)؛ إذ يرى أنَّ "حضارة المجتمع الإسلامي في الفترة الكلاسيكية كانت نتيجة تطورٍ معقدٍ ضمَّ عناصرَ عديدةً من أصولٍ متعددة"^(٢)، ويقول لويس: "ربما كان أعظم تأثير هو التأثير الهليني وبخاصة في العلوم وفي الفلسفة وفي الفنون والمعمار وإلى حدٍ قليلٍ في الآداب، وكان التأثير الهليني من الأهمية حتى عُدَّ الإسلام الوريث الثالث بالإضافة إلى اليونان واللاتين والنصرانية للمجد الهليني، ولكنَّ هيلينية الإسلام كانت هيلينية الشرق الأدنى المتأخرة التي تم تعديلها بالتأثير الآرامي والنصراني فكان امتدادًا دون انقطاع، وليس إعادة اكتشافٍ كما حدَّث في الغرب"^(٣)، فبالإضافة إلى نزح أصالة نشأة هذه العلوم عن البيئة الإسلامية والعربية، وتجاهل سياقها الداخلي وتفسيره وفق آلية الإرجاع إلى الحضارات السابقة؛ تؤول الفيلولوجيا التاريخية هذا التأثير بصورة تنفي أنَّ يكون للإسلام والمسلمين أية حسنةٍ في بناء سياق النهضة الحضارية الإنسانية.

ومن الجدير بالإشارة هنا أنَّ مسألة أصالة هذه العلوم الإسلامية قد لقيت تفسيرًا إيجابيًا مغايرًا لدى العديد من المستشرقين المنصفين، شهدوا فيه بأصالتها في الحضارة الإسلامية وقَدَّم السَّبق لها، ودورها الكبير في تطور العلوم الإنسانية والطبيعية، وأشاروا إلى ما أضافه وخالف فيه كثيرٌ من العلماء المسلمين ما أخذوه عن الحضارة الإغريقية وغيرها كأمثال سارتون^(٤) في كتابه الضخم "تاريخ العلم"، وهونكه^(٥) في كتابها شمس العرب تسطع على الغرب، ويوسف فان إس^(٦) في كتابه علم الكلام والمجتمع، وغيرهم.

(١) برنارد لويس (١٩١٦-٢٠١٨) مستشرق ومؤرخ أمريكي بريطاني، من أبرز المستشرقين المشتغلين بالتأريخ للشرق الأوسط والإسلام، من ذلك كتابه: تاريخ الإسلام، انظر: مجموعة من الأكاديميين، (٢٠١٥م)، (ص ٦٨٧-٧٠٩).

(٢) مطبقاني، (١٩٩٥م)، (ص ٣٦٤).

(٣) السابق، (ص ٣٦٤).

(٤) جورج سارتون (١٨٨٤-١٩٥٦) مستشرق ومؤرخ بلجيكي، اشتهر بإنصافه وعدالته في التاريخ للحضارة الإسلامية وعلومها، ويُعد من أبرز المؤرخين لتاريخ العلم، سارتون، (٢٠١٠م)، (ص ٥، ٦).

(٥) زيجريد هونكه (١٩١٣-١٩٩٩) مستشرق ألمانية، قامت من خلال كتابها هذا "بدورٍ مشهود في تحسين صورة العرب والمسلمين، والدفاع عن حضارتهم وثقافتهم وأخلاقهم وتاريخهم، وتقريب الحقائق التاريخية إلى الرأي العام الغربي دون أي تشويه أو دعاية غير مسنودة بمنطقٍ بحثيٍّ مؤسَّسٍ على أدلة علمية قوية، والتقليل من تأثير الدعايات والمزاعم، التي روجتها بعضُ الأقلام في ديار الغرب لأهدافٍ تمَّ تحديدها مسبقًا وبعبارة فائقة"، انظر: نويري، (٢٠١٢م)، (موقع مجلة العربي: <https://alarabi.nccal.gov>).

(٦) يوسف فان إس (١٩٣٤-٢٠٢١) مستشرق ألماني، ساهم في التاريخ للحضارة العربية والإسلامية، كان مهتمًا بالدراسات الدينية الإسلامية وخاصة المتعلقة بعلم الكلام الإسلامي، انظر: بيسترفلید، (٢٠٢٣م)، دورية نماء، ج ٧، العدد (٣)، (ص ٢٣٤).

المطلب الرابع: الموقف من تطبيق المستشرقين للفيلولوجيا التاريخية في دراسة الوحي وعلوم الحضارة الإسلامية

مما لا شك فيه أنه يُحسب للفيلولوجيا التاريخية - في جانبها التطبيقي كما عمل عليه المستشرقون - الالتفات إلى جميع العلوم والمعارف الإسلامية، ومحاولة إخراجها وتحقيقها علمياً ودراسياً؛ حيث نُقِرَ بأنَّ للمستشرقين جهوداً حافِظاً من خلالها "على كثيرٍ من النصوص الأصلية والأصيلة، وإثارتهم لقضايا اللغات والألسن واللهجات - من خلال الفيلولوجيا - على العموم، واللغة العربية على الخصوص، جعلتهم يُسهمون في بعثها وتجديدها بإثارة نصوصها الأصلية وإلقائها على الساحة الفكرية والأدبية والثقافية الأوربية سواءً على شكل كتبٍ مطبوعة طباعة عصرية أو مقالات على صفحات مجلات عامة أو متخصصة"^(١). لكن برغم هذا لم يفصل المستشرقون الأدوات أو المناهج - ممثلة في الفيلولوجيا هنا - عن أهداف الاستشراق العامة، فمكَّمن التقاء الفيلولوجيا لتحقيق تلك الأهداف أو تسهيل تحقيقها في أقل الأحوال، هو كالتالي:

١- أنَّ الفيلولوجيا التاريخية كانت تعمل بشكلٍ خطي إرجاعي يسلب العرب والمسلمين أيَّ حضورٍ وجودي، فكل ما في الإسلام عائدٌ إلى سببٍ خارجي عنه؛ حيث تبدو الفيلولوجيا هنا كأنها "موقفٌ إيديولوجي يُخفي نفسه في سلوكٍ علمي ومنهجي"^(٢)؛ فحين "يتعقب ظاهرةً بالبحث في أصولها... الأولى التي تطورت عنها، إنما ينتهي إلى إهدار أصالتها، أعني إسقاط كيانيتها الخاصة والنظر إليها بما هي صدىٌ وامتدادٌ وفرعٌ لأصلٍ يقع خارجها وخارج محيطها التاريخي والمعرفي، إنه يُشدّد على علاقات التأثير والتأثر بين الثقافات"^(٣)؛ بوصفها "علاقاتٍ أحاديةٍ تعاقبيةٍ يقع فيها اللاحق تحت سلطان السابق"^(٤) دون أن يمكن لإحداها أن تحيد عن الأخرى.

٢- أدى استعمال المستشرقين للفيلولوجيا التاريخية في الدراسات الإسلامية إلى العمل على جمع الروايات وحشدها دون تمييزٍ بين صحيحها وسقيمها، وبناء النتائج على هذه المرويات التي تتجاهل علم نقد المرويات عند المسلمين الذي صنعه علماء الحديث وتقلَّده كثيرٌ من المؤرخين وغيرهم؛ الأمر الذي سهَّل الطعن في الإسلام وعقائده وشرائعه، والتشكيك فيه اعتماداً على الروايات الضعيفة والموضوعة.

٣- تعتمد الفيلولوجيا التاريخية على التطورية وتعمل على تطبيقها على العقيدة والشرعية والمعارف العربية الإسلامية؛ لتؤكد من خلال هذا الأعمال على نقص أصول الإسلام الممثلة في الوحي (الكتاب والسنة الصحيحة)، وقصورها، ومن جهةٍ أخرى ترسيخ الفكرة القائلة بأنَّ الإسلام نتاجٌ مجهودٍ بشري صنعه محمد ﷺ

(١) معريش، (ص ٤٨٣).

(٢) بلقرز، (ص ١٧٧).

(٣) السابق، (ص ١٧٧).

(٤) السابق، (ص ١٧٨).

وأصحابه، حاشاهم عن ذلك. وبمعنى أدق فقد أسس المستشرقون من خلال الفيلولوجيا لأنسنة الوحي وإنكار أي اتصال بين السماء والأرض بمقتضى التاريخانية.

٤ - الفيلولوجيا التاريخية الاستشرافية بتركيزها على تكوين أو إنشاء تاريخ للإسلام والمعارف المتصلة به؛ أهملت كثيراً من الأنظمة الدلالية غير النصية التي تؤثر في نتائج قراءتها للفكر العربي والإسلامي.

٥ - زيف ادعاء الفيلولوجيا التاريخية الاستشرافية لأحادية المعاني التي تقدمها النصوص، أي زيف المعنى الذي تُعطيه للتشابه والالتقاء الذي تحده بين نص من نصوص القرآن أو السنة وبين نصوص الكتاب المقدس، أو بين الفلسفة الإسلامية وبين الفلسفة الإغريقية على أنه أخذ وانتحال دون أن يحمل دلالات تفسيرية أخرى.

وهكذا إذن يمكننا الوصول إلى أن التطبيق الفيلولوجي جاء مُحْتَمَلًا بأهداف الاستشراق وخادماً لها باسم العلمية والمنهج البحثي، وقدّم نتائح تنافي به أخلاقية المنهجية العلمية التي تتطلب الموضوعية والبعد التام عن الذاتية. وهذا التطبيق الفيلولوجي الاستشرافي يقفز إلى النتائج دون الدراسة والاستدلال العميق والسليم؛ ولهذا وجدنا أن معظم نتائج المستشرقين الفيلولوجية هي بمثابة التفسيرات والتحليلات التي تفتقر إلى الاستدلال الكامل في أحيان كثيرة، أو تفتقر إلى الاستدلال السليم. ومن الجدير بالذكر معرفة أن جميع ما سبق يُعد بمثابة النقد الإجمالي الذي يُركز على تطبيق المستشرقين للمنهج الفيلولوجي، دون أن يُركز على دراسة المنهج ذاته من الناحية العلمية، أو الأخلاقية، ونحوها؛ لأن ذلك موضوع آخر يحتاج إلى دراسة مستقلة.

الخاتمة:

- الحمد لله تعالى على ما يسّرهُ من إنجاز، وقد خلصنا من خلال هذا البحث إلى عددٍ من النتائج، هي كالتالي:
- ١- تتمثل حقيقة الفيلولوجيا التي يقصدها الاستشراق في: البحث التاريخي المقارن، فهي عملية تأريخٍ من خلال النص وتراكيبه الداخلية للكشف عن أصوله وامتداده التاريخي.
 - ٢- تركز المنطلقات الفلسفية للفيلولوجيا التاريخية الاستثنائية في: **المادية، والتأريخانية، والعلمانية.** بينما تتمثل آليات الفيلولوجيا التاريخية الهامة في: **آلية المقارنة والمقاربة، والآلية الإرجاعية.**
 - ٣- تُعد الفيلولوجيا أولى المناهج التي وُلج منها الاستشراق الأكاديمي والمنظم للدراسة الموجهة للإسلام، وتمثلت أبرز مجالات تطبيقها في الآتي:
- أ- نصوص الوحي الكريم والسيرة النبوية الشريفة. وتبين معنا أن دراسات المستشرقين الفيلولوجية لنصوص الوحيين ركزت على تقديم تأريخٍ للقرآن والسنة النبوية تبحث في أصولها ومصادرها ونشأتها، وردها إلى كونها مزيجًا منسقًا ومنظمًا من الكتب المقدسة السابقة، والحضارات الأخرى السابقة على الإسلام، كما عمل المستشرقون في هذا المجال على محاولة إيجاد معجمٍ خاصٍ لألفاظ القرآن الكريم بالرجوع إلى اللغات السامية كالآرامية والسريانية.
 - ب- اللغة العربية وآدابها. وتبين معنا أن هذه الدراسات ركزت على محاولة ردّ العلوم المتعلقة باللغة العربية - كالنحو العربي والأدب العربي - إلى أصولٍ سابقة، وفك ارتباط النحو بالقرآن الكريم، ورفض أصالة إسهام علماء اللغة وسبقهم في النظريات المتعلقة باللغة، ونزع أصالة الأدب، وتقديمه على أنه علمٌ تكون بعد أن انفتح المسلمون على غيرهم من أصحاب الحضارات وأخذوا عنهم.
 - ج- الحضارة الإسلامية؛ وتبين معنا أن الفيلولوجيا التاريخية ركزت في تناولها العلوم العربية الإسلامية المختلفة المتعلقة بالوحي أو العلوم الكونية والطبيعية على نزع أصالة الفكر الإسلامي، وإلغاء دوره العلمي في التاريخ الإنساني، والبحث عن أصولٍ تُرجع إليها كل علمٍ من العلوم الإسلامية، ومحاولة تفسيره بوصفه متأثرًا سلبيًا منفعلًا بغيره من الحضارات الأخرى.

توصيات البحث:

- ١- العناية بالدراسات الاستثنائية المنصّفة التي اتخذت من الفيلولوجيا التاريخية منهجًا لها، وإبراز أسسهم التي انطلقوا منها في البحث الفيلولوجي، ونتائج هذه الدراسات.
- ٢- الاهتمام بالفيلولوجيا التاريخية من جانبها الأبتمولوجي، وبيان رؤية المنهج العلمي لهذا المنهج.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

- بارت، رودى. (٢٠١١). الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية: المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكه. ترجمة ماهر، مصطفى، ط١، المركز القومي للترجمة: القاهرة.
- بدوي، عبد الرحمن. (٢٠٠٣). موسوعة المستشرقين. ط٤، المؤسسة العربية للدراسات: بيروت.
- بروكلمان، كارل. (١٩٦٠). تاريخ الأدب العربي. ترجمة النجار، عبد الحليم، ط٥، دار المعارف: القاهرة.
- برينتون، كرين. (١٩٨٤). تشكيل العقل الحديث. ترجمة جلال، شوقي، عالم المعرفة: الكويت.
- بلاشير، ريجي. (١٩٧٤). القرآن: نزوله، تدوينه. ترجمة رضا سعادة، ط١، دار الكتاب اللبناني: بيروت.
- بلقزيز، عبد الإله. (٢٠١٧). نقد الثقافة العربية في الاستشراق والمركزية الأوروبية. ط١، مركز دراسات الوحدة العربية: بيروت.
- بوقفه، سلمى. (٢٠٢٢). المنهج الفيلولوجي ودراسة النص الديني: استعماله ونقده كرسstof لوكسمبورغ من خلال كتابه: قراءة آرامية سريانية للقرآن مساهمة في تحليل اللغة القرآنية. مجلة الدراسات العقدية ومقارنة الأديان، مخبر البحث في الدراسات العقدية جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر.
- بيسترفيلد، هانس هينرش. (٢٠٢٣). رثاء يوسف فان إس ونبذة عن حياته وإسهاماته العلمية. ترجمة محمد فتوح، دورية نماء، دار نماء للبحوث والدراسات: ج٧، العدد (٣).
- تسهر، إيجناس جولد. (٢٠١٨). العقيدة والشريعة في الإسلام. ترجمة محمد يوسف وآخرون، ط٢، المركز القومي للترجمة: القاهرة.
- التميمي، حيدر قاسم. (٢٠١٨). علم الكلام الإسلامي في دراسات المستشرقين الألمان. ابن النديم، دار الروافد الثقافية.
- جدامي، عبد المنعم. (٢٠١٦). المستشرقون والتراث النحوي العربي. ط١، دار كنوز المعرفة: عمان.
- حجازي، محمود. علم اللغة العربية. دار غريب.
- حسان، تمام. (٢٠٠٠). الأصول دراسة استمولوجية للفكر اللغوي عند العرب. دار عالم الكتب: القاهرة.
- رجب، عبد الرزاق. (٢٠١٦). الظاهرة الفيلولوجية في الدراسات القرآنية عند المستشرقين عرض وتحليل ونقد. مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية، غزة، ٢٤ (١٥).
- زيدان، جورجى. (٢٠١٣). تاريخ آداب اللغة العربية. مؤسسة هنداوي.
- سارتون، جورج. (٢٠١٠). العلم القديم والمدنية الحديثة. ترجمة عبد الحميد صبرة، ط١، المركز القومي للترجمة: القاهرة.
- ستروميرج، رونالد. (١٩٩٤). تاريخ الفكر الأوروبي الحديث. ترجمة الشيباني، أحمد، ط٣، دار القارئ العربي: القاهرة.

- السعران، محمود. (١٩٩٧). علم اللغة مقدمة للقارئ العربي. ط ٢، دار الفكر العربي: القاهرة.
- سعيد، إدوارد. (٢٠٠٣). الاستشراق: المعرفة، السلطة، الانشاء. ترجمة أبو ديب، كمال، ط ٢، مؤسسة الأبحاث العربية: بيروت.
- السيد، رضوان. (٢٠١٦). المستشرقون الألمان النشوء والتأثير والمصائر. ط ٢، المدار الإسلامي.
- شاخت، جوزيف. بوزورث، كليفور. (١٩٨٤). تراث الإسلام. ترجمة السمهوري، محمد وآخرون، عالم المعرفة: الكويت.
- شاهين، عبد الصبور. (١٩٩٣). في علم اللغة العام. ط ٦، مؤسسة الرسالة.
- الصالح، صبحي. (٢٠١٤). دراسات في فقه اللغة. ط ٣، دار العلم للملايين: بيروت.
- ضيف الله، فوزية. (٢٠١٥). نيتشه من الفيلولوجيا إلى الفلسفة. فوزية ضيف الله، موقع مؤسسة مؤمنون بلا حدود. <https://www.mominoun.com>
- العصيلي، عبد العزيز. (٢٠٢٣). المعجم الموسوعي لمصطلحات اللسانيات التطبيقية. ط ١، مجمع الملك سلمان للغة العربية: السعودية.
- علي، محمود. (٢٠٢٤). النحو العربي وعلاقته بالمنطق. ط ١، مؤسسة هنداي.
- غردية، لويس، قنواقي. فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية. ترجمة صبحي الصالح وآخرون، دار العلم للملايين: بيروت.
- القرني، خالد. (٢٠٢١). الموقف القرآني من التوراة والأنجيل باعتباره أساساً للتعايش: سورة المائدة أنموذجاً. مجلة العلوم الشرعية، جامعة الإمام محمد بن سعود: (٥٨).
- القرني، خالد. (٢٠٢٢). محاولة إقناع العقل في الجدل النصراني المعاصر. مجلة جامعة الملك خالد للعلوم الشرعية والدراسات الإسلامية، (١٩) (٢).
- لوكممان، زكاري. (٢٠٠٧). تاريخ الاستشراق وسياساته: الصراع على تفسير الشرق الأوسط. ترجمة شريف، ط ١، دار الشروق: تونس.
- مارجليوت، ديفيد صمويل. (٢٠٠٦). أصول الشعر العربي. ترجمة عوض، إبراهيم، دار الفردوس.
- مارشاند، سوزان. (٢٠٢٢). الاستشراق الألماني في زمن الإمبراطورية. ترجمة السيد، رضوان، ط ١، المركز القومي للترجمة: القاهرة.
- مجموعة من الأكاديميين تحرير الوائلي، عامر، وطالب. (٢٠١٥). موسوعة الاستشراق. ط ١، دار ابن النديم، دار الروافد الثقافية.
- مطبقي، مازن صلاح. (١٩٩٥). الاستشراق والدراسات الفكرية في التاريخ الإسلامي: دراسة تطبيقية على كتابات برنارد لويس. مكتبة الملك فهد الوطنية: الرياض.

- معريش، محمد العربي. (٢٠٠٩). الاستشراق الفرنسي في المغرب والمشرق من خلال المجلة الآسيوية (١٨٢٢ - ١٨٧٢م). ط١، دار الغرب الإسلامي: تونس.
- المنهج الفيلولوجي عند المستشرقين، محمد فتحي، مجلة دراسات استثنائية، دار الكتب والوثائق العراقية: (٣٤)، (٢٠٢٣م).
- النشار، علي. نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام. ط٩، دار المعارف: القاهرة.
- نلدكيه، تيورد. (٢٠٠٠). تاريخ القرآن. ترجمة تامر، جورج، دار نشر ومكتبة ديتريش.
- نويري، إبراهيم. (٢٠١٢). زيغريد هونكه سفيرة التقريب بين الشرق والغرب. مجلة العربي المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب: <https://alarabi.nccal.gov>.
- وات، مونتغمري. (٢٠٠٢). حياة محمد. ترجمة الشيخ، عبد الرحمن وآخرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب.